

العيد

الأستاذ محمد عرفة

— ٢ —

ماذا جرى للعيد ، أو ماذا جرى لنا في العيد !

أنغير العيد ، فلم يمد هذا الذي كان ييمت فينا السعادة :

أم تغيرنا نحن ، فلم نعد نصلح مهبطاً للسعادة ؟

لقد كنا نحيا في العيد حياة أهل الجنة في الجنة ؛ وكنا نفرح بالتوب الجديد فرح الفأخ المنتصر ، ونرى في الدرهمات التي يمنحنا إياها أهلونا ثروة وأى ثروة ؛ وكنا بامتلاكها كأنما نملك الدنيا ، وكنا نرى في العيد كل شيء ضاحكاً زاهياً ، وكنا نشعر أن الأنهار والوديان والنبات والحيوان والأرض والسماء تشاركنا كلها في سعادتنا وفرحنا ؛ ثم أصبح العيد يقبل كما تقبل سائر الأيام ، ويذهب كما تذهب ، لا يهز منا عاطفة ولا نرى فيه معنى جييداً

لقد صرنا نملك الضياع والدور فلا نستخرج منا من السرور ما كان يستخرجه توب جديد ، وصرنا نملك المال فلا يسعدنا إسمعاد هذه الدرهمات التي كنا نأخذها يوم العيد ؛ ولقد كان هذا الفرع يما نملك من توب ودرهمات فيه معنى الرضا والقناعة ، فصار هذا الرجوم وعدم الشعور بما نملك فيه عدم الرضا وعدم القناعة

الحق أننا كنا نفرح بالعيد صغاراً ، لأننا كنا على النظرة العلية التي خلق الله الناس عليها ، فلما انحرفنا عن هذه النظرة أخطأنا الفرع بالعيد بقدر هذا الانحراف ، وكان علينا أن نحافظ على روح الطفولة البريئة فينا ، لنسعد بالأيام ، ولا نشق بالعيش والحياة . كان علينا أن نحفظ بسرورنا ، لنحتفظ بنشاطنا ، وتقوى على ملاقة أحداث الحياة . فالسرور استجمام واستمداد ، والقلب السرور المتعبط السقيش أقوى على تحمل الحوادث من القلب الحزين النقبض المكتئب . وإن الأمم التي تفرح كثيراً أقوى على تحمل الشدائد وعلى النجاح في الحياة من الأمم التي يقل نصيبها من الفرع والبشر والمسرّة

وإنكم لتجدون في هذه الأيام أمماً تحمل من الشدائد ما تنوء به الجبال ، ولا تتامل ولا تضجر ، ولا تهن ولا تستكين ، لأنها قوت أعصابها بالسرور ، فجعلها أقوى على الاحتمال .

وما أظن هذا الأخفاق الذي يصيب بعض أُمم الشرق في عصرنا الحديث إلا من هذه الكآبة المستولية على نفوس الشرقيين ، والتي تمّ ودبانه الضاحكة ، وربوعه الجميلة

نعم ، إنك تجد القوة حيث تجد الفرع والسرور ، والأمم العظيمة تشعر بالقوة لأنها أشعرت قلبها بالفرح والسرور

أيها الناس ، افرحوا بالعيد ، واعتدوه عيد النصر على النفس وشهواتها ، وأعظم بذلك من نصر في ميدان الجهاد

روى أن رسول الله (ص) قال وقد رجع من غزوة : « رجنا من الجهاد الأصفر إلى الجهاد الأكبر » ؛ يعني جهاد النفس ، فإذا كان جهاد النفس أكبر الجهادين كان النصر عليها أكبر النصرين

ألا إن الإسلام يدعوكم إلى الفرع والسرور ، ولذلك سنّ لكم الأعياد . ألا إن الإسلام يدعوكم إلى الفرع والسرور في يوم العيد بما يهديكم إليه نبي الإسلام من قول وعمل

عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل أبو بكر وعندي جاريقان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعات ، قالت : وليستا بمغنيتين ، فقال أبو بكر : أمر أمير الشيطان في بيت رسول الله (ص) وذلك في يوم عيد ، فقال رسول الله : يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا

نعم ، فلتلهموا السعادة التهاماً ، ولتفتنموا المسرة البريئة اغتناماً ، فلقد بينا لكم من معنى العيد ما يعينكم على جلب المسرة ، وبيننا لكم من تعاليم الإسلام ما ينق عنكم الحرج في المسرة ؛ ولتبتعدوا عن السرور بالإثم والباطل ، فإنه مسرة تمقها ندامة ، وفرح تلوه الكآبة ، وبشر مصيره إلى بأس وقنوط وخذلان إنما الفرع عنوان الأمل والرجاء ، ومظهر الحياة والأقدام ، ودليل الرجولة العاملة الفائرة

وما خلق الله النجوم الثلاثلة بأنوارها لنشق بل لنسعد وما خلق الله الرياض الضاحكة بأزهارها لنشق بل لنسعد وما خلق الله الطيور المفردة بألحانها لنشق بل لنسعد وما خلق الله الأشجار الراقصة بأفصانها لنشق بل لنسعد وما خلق الله الأمهار الصفقة بأمواجها لنشق بل لنسعد وما خلق الله هذا الكون البديع الجميل لنشق بل لنسعد كل ما في الكون يوحى بالمسرة والسعادة فلماذا الكآبة والشقاء ؟